البحث رقم (٣)

الجوانب التربوية الدعوية

في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

الدكتور

جعفر عايد بدوي دسه

كلية الدعوة الإسلامية

جنوب الخليل – فلسطين

jafer_dassha@yahoo.com

ISSN: 2071-6028

تناولت هذه الدراسة حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وإظهار الجوانب التربوية من خلال دعوة أبيه، وقومه، والملك الظالم، وحواره مع ابنه، واستنباط هذه الجوانب من كتب التفسير وإبرازها في دراسة مستقلة مع رغبة الباحث في تقديم خدمة للدعاة في هذا الزمان، آملا أن يكون هذا البحث وسيلة تساهم في نشر الدين، وكيفية التعامل مع المدعو من خلال النظر في هذه المواقف التي حاور فيها إبراهيم عليه السلام الآخرين؛ للوصول للإيمان، ونشر دين الله، لما تحويه هذا الدراسة من جوانب تربوية تتسم وروح الدين السمحة لربما تكون أنموذجاً يقتدى به في الدعوة إلى الله ﷻ للوصول إلى الغاية المبتغاة من هذه الجوانب التربوية في الحياة العلمية، وتوصلت بذلك إلى جمع للسلف، وبيان الصحيح منها والضعيف.

الكلمات المفتاحية: جوانب ، تربوية ، حوارات

THE PEDAGOGICAL ASPECTS OF THE DIALOGUE IN THE DIALOGUES OF ABRAHAM, PEACE BE UPON HIM IN THE HOLY QURAN, AN INTERPRETIVE STUDY OBJECTIVELY

Dr. Ja'afar A. Badawi Dasa
College of Islamic Call
South Hebron - Palestine

Summary

This study dealt with the dialogues of Abraham - peace be upon him - in the Holy Quran, and to show the educational aspects through the call of his father, his people, the unjust king, and his dialogue with his son, and devising these aspects of the books of interpretation and highlighting them in an independent study. With the researcher's desire to provide a service to the preachers in this time, hoping that this research is a means to contribute to the dissemination of religion, and how to deal with the invited by looking at these situations, which Ibrahim - peace be upon him - others; to reach the faith, and spread the religion of God, why This study contains aspects of education and the spirit of the tolerant religion may be a model used in the call to God - Almighty - to reach the desired goal of these aspects of education in scientific life.

***Keywords**: Aspects, educational, dialogues*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فمن الفروض التي يجب أن تَشْغِلَ بال الدعاة والمسلمين واهتماماتهم بشكل عام، وأن تأخذ حيزاً كبيراً من فكرهم وأعمالهم هي دراسة ما جاء به القرآن الكريم، من جميع النواحي، ومن أبرزها الجوانب التربوية التي تدعم نشر الدين، والأساليب التي تَصِل بالضال إلى الحقيقة ومعرفة الخالق، وما دلت عليه الحوارات في القرآن بين الأنبياء وأقوامهم ومن يخصونهم من جوانب تربوية وغيرها، من ضرورات العلم الشرعي؛ لذلك فإنّه لا بُدَّ من وقفات متمحصة؛ لتحليل الأحداث ومنها على وجه الخصوص (حوارات إبراهيم عليه السلام)، واستخراج الجوانب التربوية الدعوية منها؛ لأن هذه الجوانب تعدُّ من أهم الأمور في كل مجالات الحياة وفي كل مراحلها تلعب التربية دوراً فعالاً في صقل الفرد والمجتمع، و عنصراً أساسياً في التعامل مع كيفيات الحياة والمجتمع الإسلامي.

إذ كانت طريقة تعامله عليه السلام في مسيرته الدعوية أنموذجاً للخير والهداية، ويجد السامع والقارئ فيها الأثر البالغ في القلب والنفس؛ لأنهما مصبُّ أثر الموعظة والكلمة الملقاة في النفس البشرية.

أولاً: فكرة الدراسة:

البحث يمثل طرفاً أو حدثاً من أحداث حوارية في القرآن الكريم وخاصة حوارات إبراهيم عليه السلام.

ثانيا: أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من عدة دوافع، منها:

١. عدم توافر دراسة منفردة تفسيرية موضوعية تبحث في الجوانب التربوية الدعوية في حوارات إبراهيم –عليه السلام– من خلال كتب تفسير القرآن الكريم.
٢. ليصبح هذا البحث أساس ينطلق من خلاله الدعاة والأفراد باعتباره وسيلة من وسائل التعامل مع الطرف الآخر في المجتمع.
٣. التربية من الأهداف الدعوية للأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
٤. هذا النموذج من الحوارات في القرآن الكريم، وما يحويه من جوانب تربوية دعوية، تظهر من خلال حوارات إبراهيم –عليه السلام– مع نفسه وأبيه وقومه والملك وابنه إسماعيل وما دار بينهم من نقاشات، واتسامها باللطف والأدب والأخلاق، والتي يستنبط منها جوانب تربوية عظيمة تكون أساسا في التعامل وتأصيلا لعلم مهم في كيفية التعامل مع الطرف الآخر.

ثالثا: أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق أهداف من أهمها:

١. العودة إلى القرآن الكريم واعتماده مصدراً مهما في التربية الحياتية.
٢. اعتماد الاستنباطات التربوية للمفسرين كدراسة أساسية في المناهج الدراسية.
٣. معرفة الحوارات التي وردت في القرآن الكريم، ومنها حوارات إبراهيم –عليه السلام–.
٤. استخلاص الجوانب التربوية الدعوية من حوارات إبراهيم عليه السلام من خلال كتب تفسير القرآن الكريم.

ISSN: 2071-6028

رابعا: منهج الدراسة:

يعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي الذي يقوم على تقصي حوارات إبراهيم –عليه السلام– في جميع مواضعها من القرآن الكريم، مستعينا بالمنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل النصوص واستنباط الجوانب التربوية منها.

خامسا: الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد أقبل على حوارات الأنبياء في القرآن الكريم العديدُ من الباحثين، ولكل أسلوبه الخاص ومنهجه الذي يميزه عن غيره، وربما جاء بجديد، وبَحَثَ جانباً لم يُتطرق إليه أخر من قبل، ومع هذه الكثرة إلا أن جوانب أخرى وكثيرة لا زالت تنتظر من يقوم ببحثها، ومن ذلك موضوع هذا البحث الجوانب التربوية الدعوية في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية بشكل مستقل. مع أنه ورد فصل في رسالة ماجستير عن (الحوار في القرآن الكريم) لمعن محمود حمزة ولم يتطرق للجوانب التربوية الدعوية وإنما لإشارات عامة. وكذلك بحث بعنوان (الحوار في القرآن وتنوع أساليبه) للدكتورة سناء الشنطفي ولم تطرق الجوانب التربوية الدعوية في حوارات إبراهيم –عليه السلام– على الوجه الذي يراه الباحث في هذه الدراسة. وورقة عمل مقدمة لمؤتمر الحوارات في الفكر الإسلامي بعنوان (الحوار في قصص إبراهيم عليه السلام) للدكتور محمد الشايع ولم يتطرق فيها للجوانب التربوية. ورسالة ماجستير بعنوان (الإشارات التربوية في قصة إبراهيم –عليه السلام– في مرحلة وجوده في العراق)، وكانت دراسة تاريخية ذكرت القصص الدعوية للأستاذة فايزة أحمد وأوردت إشارات تربوية للتربويين والمفسرين، ولكن على اعتبار دراسة تاريخية وليست دراسة متخصصة في التفسير الموضوعي، بعيداً عن الدراسة التي أقصدها في هذا البحث بدراسة مستقلة للجوانب التربوية الدعوية من خلال علماء تفسير القرآن الكريم؛ ليكون

خطاً وطريقاً للدعاة والمحاورين بشكل عام في استقطابهم ونجاحهم في استمالة المحاور بأساليب راقية يستخدمها المحاور.

سادسا: الخطة التفصيلية للدراسة:

لقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وأربعة مباحث في كل مبحث عدة مطالب، وخاتمة وتوصيات. أما مباحث الدراسة، فهي:

المبحث الأول: الحديث عن نسب إبراهيم –عليه السلام– كونه المقصود في هذه الدراسة. والمبحث الثاني: الحديث عن مفهوم التربية، وفيه مطالب هي: تعريف التربية، وأهدافها، ووسائلها، وعلاقة التربية بالحوار. والمبحث الثالث: حول مفهوم الحوار وفيه مطالب هي: تعريف الحوار، وأغراضه، وخصائصه. والمبحث الرابع: الجوانب التربوية في حوارات إبراهيم –عليه السلام– في القرآن الكريم ابتداءً بنفسه ثم أبيه، ثم قومه والملك، وابنه إسماعيل، وفي الخاتمة ذكر الباحث نتائج الدراسة، وفي التوصيات أثبت ما تمخضت عنه الدراسة.

وأخيراً هذا جهدُ المقل، فإن أصاب الباحث فمن الله وتوفيق الله ﷻ وإن كان غير ذلك فيسأل الله عز وجل العفو والعافية والقبول، إنه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

المبحث الأول:

إبراهيم عليه السلام مولده

ذكر بعضُ المفسرين نقلاً عن المؤرخين، ومن روايات إسرائيلية نسب إبراهيم عليه السلام، والذي ورد نسبه في القرآن الكريم والسنة النبوية هو أن أباه (آزر)، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾[١]، ولقول رسول الله ﷺ: (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي ؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ...)[٢]. ففي الآية الكريمة والحديث الشريف تصريح بأن اسم الأب آزر.

ولم يثبت في كتب أن آزر اسم أم لقب، والذي عليه أكثرُ المفسرين، وأهل التاريخ أن أبا إبراهيم هو تارَح، وقيل: تارخ[٣]، وهو(أي تارح) ابن ناخور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد أو أرفخشذ (بالذال المعجمة) بن سام بن نوح عليه السلام[٤]. فآزر سواء كان اسما للأب أو لقباً له إلا أنّه ذكر في القرآن بهذا اللفظ، وقد يُعرف كثيرٌ من الناس بألقابهم وتُنسى أسماؤهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية ٧٤.

(٢) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب الأنبياء، رقم (٣٣٥٠).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ط٣، ١٩٩٩م: ٢٣٩/٥-٢٤٠، والقرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ط٢، ١١٩٦٤م: ٢٢/٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، اسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ، ١٥٠/٢.

(٤) الجامع لإحكام القرآن، للقرطبي: ٢٢/٧-٢٣، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ١٩٨٦م: ٣٨٩/٦.

ISSN: 2071-6028

أما مولده عليه السلام فقد ذكر المؤرخون عدة أقوال تدور حول الموضع الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، فقيل: كان مولده بالسُّوس من أرض الأهواز، وقيل: كان ببابل من أرض السواد، وقيل: كان بالسواد بناحية كوثى، وقيل: كان مولده بحَرَّان، ولكن أباه نقله إلى أرض بابل. وقد رجّح ابن كثير أنّ مولده كان ببابل[١].

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: ٣٢٤/١-٣٢٥، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٩٩٧م .

المبحث الثاني:

مفهوم التربية

كتاب الله تعالى زاخرٌ بما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم، في العقيدة والشريعة، والسلوك، والأخلاق، وفيه منهج التربية القويم، ومن نِعَمة الله ﷻ أن أرسل إلى الناس رسلاً أدُّوا الأمانة، ونصحوا الناس، وأرشدوهم إلى طريق الفلاح، ورسموا لهم طرق وسبل السعادة في الدارين من خلال وسائل عظيمة خطوها بأسلوبهم في التعامل، كما بينها القرآن الكريم، وكان إبراهيم عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم أنموذجا تربوياً عظيماً في التربية، وذلك في مواقفه كلها، مستنيرين هنا في بحثنا بالجوانب التربوية التي تمثلت في حواره الوارد في القرآن الكريم مع أبيه والنمرود وقومه وغيرهم.

المطلب الأول:

التربية لغة

كلمة التربية أصلها في اللغة من الفعل: «ربو أو ربي» ومنه: رَبِيت في حجرِه، ورَبَوْتُ، ورَبِيتُ. ويقال: رَبَوْتُ في بَني فلان أَرْبُو: نَشَأْتُ فيهِم، ورَبَّيْتُ فلاناً أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وتَرَبَّيْتُه ورَبَبْتُه ورَبَّبْته بمعنى واحد. ورَبَّيْته تَرْبِية، وتَرَبَّيْته أَي: غَذَوْتُه، وهَذا لكل ما يَنْمِي كالوَلَد والزَّرْع ونحوه[١]، ومن فعل: «ربب»، يقال: تَرَبَّبَه، وارْتَبَّه، ورَبَّاه تَرْبِيَةً: أَحسَنَ القِيامَ عليه، وَوَلِيَه حتى يُفارِقَ الطُّفُولِيَّةَ، كان ابْنَه أَو لم يكن، ومنه كلمة الرّبّ وهي تطْلَق في اللغة على المالكِ، والسَّيِّدِ ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّمِ ، والمُنْعِم . ولا تُطْلَق غيرَ مُضافة إلاّ على اللّه تعالى وإذا أُطْلِقت على غيرِه أُضِيفت، فقيلَ: ربُّ كذا[٢].

ومن هنا فإنه إذا أحسن شخص القيام على آخر، أو تولى أمره ورعاه وحفظه ونمّاه، قيل للأول: إنه مُرَبٍّ.

---

(١) لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ١٢٨/٥. مادة: (ربا) .

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (ربب) ٩٥/٥.

المطلب الثاني:

التربية اصطلاحا

تعد كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات التي ظهرت مع حركة التجديد التربوي في العالم العربي في نهايات القرن العشرين.

ولا شك أنّ المعنى الاصطلاحي للتربية له علاقة بالمعنى اللُّغوي، فكما أنّ المعنى اللغوي لكلمة التربية يدور حول المعاني التي تدل على التنمية والتنشئة والرعاية والإصلاح، فإن ما استخدمه علماء السلف للدلالة على معنى التربية يدور أيضا حول تنمية النفس وتنشئتها والقيام برعايتها وتزكيتها.

تُعرف التربية بأنها: الجهد الذي يقوم به أبناء شعب؛ ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها[١]. على أنّ هناك تعريفات كثيرة للتربية اختلفت باختلاف نظرة المربين وفلسفتهم في الحياة ومعتقداتهم التي يدينون بها[٢].

ومن تعريفات التربية "تنشئة وتكوين إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية، والروحية الاعتقادية، والإدارية والإبداعية"[٣].

أمّا عند علماء المسلمين معنى آخر للتربية وهو: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً[٤]، ولا يمكن الوصول للهدف التربوي إلا بالوعي لطبيعة العمل القائم، ثم الدوام

---

(١) الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، محمد علي كامل، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م: ص١٧ .

(٢) مقدمة في التربية إبراهيم ناصر، عمان، ١٩٧٨م: ص١١ .

(٣) أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، مقداد يالجن، ط٢٠١٤م: ص٢٠.

(٤) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل الحنفبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ٣٥٦/٢.

والاستمرارية عليه شيئا فشيئا، أمّا مع الانقطاع عنه فإن التربية لا تؤتى ثمارها المرجوة، على أن يكون القائمُ عليها ذا كفاءة عالية.

فالتربية الإسلامية متكاملة ومتوازنة؛ فهي تشمل تربية الإنسان من جميع الجوانب الروحانية والعقلانية والجسمانية، لأنها تنطلق من مصدر رباني خالد.

المطلب الثالث:

أهداف التربية

الأهداف التربوية هي تلك التغيرات التي يُراد حصولها في سلوك الفرد أو ممارسات واتجاهات المجتمع(١)، ومن خلالها يتم تحديد المسار أو النشاط أو الوسائل اللازمة لتنفيذ الهدف المطلوب، وللتربية الإسلامية أهداف متدرجة تسعى من خلالها للوصول للغاية المطلوبة بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾(٢)، فأكل اللحم واستخراج الحلية له هدفان لتسخير البحر وهما جميعاً وسيلة لتحقيق الهدف وهو شكر لله(٣).

وحوار إبراهيم عليه السلام مع محاوريه كما ورد في القرآن الكريم كان لهدف وغاية يصل بها لتحقيق إثبات وجود الله والإيمان به، واثبات بطلان ما هم عليه في بعض الحوارات وهذا مدار الدراسة.

ومن الأهداف التربوية الإسلامية المهمة للوصول للمنشود، تربية الإنسان الصالح من خلال القرآن الكريم، بتنمية مداركه وخبراته سواء أكانت الذاتية أو الدينية وتنمية الإرادة والقدرة لدى الإنسان المسلم؛ ليصل إلى العمل الصالح المنشود، ومثال

---

(١) أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، دار التراث، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٨٨م: ص١٨.

(٢) سورة النحل، آية١٤.

(٣) أهداف التربية الإسلامية، ص١٦-١٧.

على ذلك ما كان يسعى إليه إبراهيم عليه السلام من خلال إخراج امةً مسلمةً بما كان من أفعال وأقوال تمثلت في الحوارات التي وردت في القران الكريم.

وقد يستعمل في تحقيق الهدف الواحد وسائل عدة حتى نصل إلى القصود، كما مرَّ سابقاً، والداعية قد يستخدم أساليباً تربويةً متميزةً ومتطورةً لتنشئة، الفرد تنشئةً صالحةً تتناسب والقرآن الكريم.

وتتمثل أهمية أساليب التربية في ما يأتي(١):

١- التربية بالقدوة.

٢- التربية بالعبرة والموعظة.

٣- التربية بالترغيب والترهيب.

٤- التربية بتكوين العادات الحسنة.

٥- التربية باستغلال الأحداث.

٦- التربية بضرب الأمثال.

٧- التربية باستخدام القصة.

٨- التربية عن طريق حل المشكلات.

٩- التربية بتفريغ الطاقة وشغل أوقات الفراغ.

١٠- التربية بالممارسة العملية.

والنماذج على هذه الأساليب التربوية كثيرة في القرآن الكريم ونقتصر منها في هذه الدراسة على أسلوب الحوار؛ لتحقيق التربية المنشودة في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

(١) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، السيد عاطف، ط١٩٩٨م: ص٥٣.

المطلب الرابع:

علاقة التربية بالحوار

التربية عن طريق الحوار من الجوانب المهمة في الإقناع، والتي حرص القران الكريم عليها في الدعوة.

وللحوار قيمة حضارية وإنسانية، ودلالة على رقي المحاور، فهو ينم عن خلق عظيم لدى المحاور، ويعد عنصراً فعالاً في استمالة الطرف الآخر، وإقناعه بأفكار وآراء المحاور، وأفضل هدف للحوار أن يكون الغاية منه ابتغاء وجه الله ﷻ.

فالقرآن الكريم أولى الحوار أهمية كبيرة من خلال طرحه لنماذج حوارية متضمنة لجوانب تربوية دعوية عظيمة، وجعله طريقاً لجذب عقول الناس، وإيقاظ العواطف والانفعالات، مّما يُساعد في تربيتها وتوجيهها نحو المُثل العُليا.

لذا فالأسلوب التربوي الذي اعتمده القرآن الكريم في مخاطبة العقول والقلوب أسلوباً بعيداً عن الفلسفات المعقدة والمنفرة بدليل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾(١).

وانطلاقا من قوله تعالى نستنتج أن المحاور عليه أن يراع ظروف وأحوال الطرف الآخر بأسلوب لطيف يجذب المحاور إلى جانبه بدون الإساءة والتجريح فلا يصدر المحاور الأحكام إلا بعد تمعن وتمحيص، بعيداً عن الجدل العقيم المنفر الذي يقود إلى الاضمحلال والتعصب الذي لا قيمة له؛ لأن الهدف الرئيس من هذا الحوار هو تعزيز العلاقات المتبادلة والمبنية على روح الاحترام وتعزيز الثقة في اتخاذ القرار الذي شابه الهدوء والراحة والطمأنينة حتى يخرج إلى الصورة النهائية.

وللتعامل مع الناس عدة طرق وفنون تجعلهم يحبون الشخص وينال اعجابهم، وتجعله يتماشى معهم على اختلاف طباعهم وصفاتهم وشخصياتهم، فلما كانت الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج من الداعية حسن التعامل مع من يتعامل معه، لذلك اعتنت المؤسسات التربوية بهذا الموضوع وقدمته المنتمين اليها، لما له من قيمة في مخاطبة العقول وتوجيهها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

المبحث الثالث:

مفهوم الحوار في القرآن الكريم وفيه مطالب:

المستقرئ لآيات القرآن الكريمُ يلاحظ أن فيه أسالِيباً متميزة ومختلفة، فمنها أسلوب الحوار الذي نحن بصدده، وقد وعرض القرآن الحوار بشكل متميز يستدعي الانتباه ويلفت الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع؛ لاستنباط الخطوات التربوية من تلك المحاورات العديدة التي تستجليها القيم الدلالية والإعجازية، والتي جاءت في سور عديدة في القرآن الكريم.

وقد جرت تلك المحاورات بين أطراف متعددة، كلها تعطي دروساً كثيرةً وجمة، وتشعرنا بأن هذا الأسلوب لم يأت به الله ﷻ عبثاً، بل لفائدة عظيمة جليلة، وقد أورد القرآن الكريم لأساليب الحوار صوراً مختلفة، كحوار الله ﷻ مع الملائكة، والبشر مثل: إبراهيم، ونوح، وإبليس. وهو الجبار القادر على إنهاء الخلاف. ولكنه ﷻ حاورهم وتقبل منهم ما حاوروا فيه، وإن كان فيه ما يشبه الإنكار والاعتراض أحياناً على الله في ظاهر اللفظ، ومنها حوارات إبراهيم عليه السلام والتي نريد أن نستخلص منها الخطوات التربوية، التي نستجلي من خلالها القيم السامية التي تُسهم في الدعوة إلى الله.

المطلب الأول:

الحوار لغة

عرّف ابن فارس الحوار في معجم مقاييس اللغة: " الحاء والواو والراء ثلاثة أصول، أحدها: لون، والآخر: الرجوع، والثالث: أن يدور الشيء دورا... أما الرجوع فيقال حار إلى رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾[1].

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ابن فارس تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١٩٧٩م: ص٢٦٩.

وقال ابن منظور في لسان العرب: "الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وفي الحديث: (من دعا رجل بالكفر وليس كذلك، حار عليه؛ أي رجع. والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب، وتقول كلمته: فما أحر إلى جواباً، وما رجع إليَّ حويراً لا حويرة، ولا محورة ولا حواراً أي ما رد جواباً. واستحره: أي استنطقه. وأصل الحوار: الرجوع إلى النقص. وفي حديث سطيح: فلم يحر جواباً أي لم يرجع ولم يرد. وهم يتحاورون: أي تراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وقد حاوره، والمحاورة مصدر كالمشورة في المشاورة"[(١)].

المطلب الثاني:

الحوار اصطلاحاً

مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، وعرّفه بعضهم بأنه نوع من الحديث بين شخصين، أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه[(٢)].

وقد عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار، فالحوار هو الطريق الأمثل للإقناع، الذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض، وإنما ينبع من داخل الإنسان. وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهي:

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، (٤/٢١٧-٢١٩).

(٢) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، دار التربية والتراث، مكة، رسالة جامعية، ط١، ١٤١٤هـ: ص٢٢.

الأول في قصة أصحاب الجنة: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾[١].

والثاني في نفس القصة: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[٢].

والثالث: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[٣].

ويفهم من هذه المواضع الثلاثة: أن الحور مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين[٤].

المطلب الثالث:

أغراض الحوار

للحوار أغراض عديدة، منها: إقامة الحجة، ودفع الشبهة، والفاسد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق، وعندما يبعد الحوار عن غايته، وشغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب صار من الجدل العقيم، الذي وردت النصوص في النهي عنه والتحذير منه[٥].

فالبحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في تنوع الرؤى والتصورات المتاحة، من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن في حوارات مختلفة[٦].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٣٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١.

(٤) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية، ط٥، ١٩٩٨م: ص١٥.

(٥) الكبائر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت: ص١٤٩.

(٦) أصول الحوار وآدابه في الإسلام صالح حميد، دار المنارة، ط١، ١٩٩٤م، ص٧.

ويجب البعد عن الحوار الذي أبعد ما يكون عن غرضه ما يوصل ويمهد للحقيقة، ولا بُدَّ أن يكون الحوار متجهاً إلى هدف معين، يسعى إلى تحقيقه(١).

والحوار في القرآن الكريم يعتمد اعتماداً كبيراً على توضيح المواقف، وجلاء الحقائق. وهداية العقل وتحريك الوجدان، واستجاشة الضمير، وفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاستجابة، والتدرج بالحجة احتراماً لكرامة الإنسان وإعلاء لشأن عقله الذي ينبغي أن يقتنع على بينة ونور(٢).

وعلى المحاور أن يكون على درجة من العلم والأدب؛ لأنَّ الغرض من الحوار في القرآن الكريم هو الدعوة إلى الله، وليس المحاججة العقيمة التي لا تفضي لخير. قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾(٣).

المطلب الرابع:

خصائص الحوار

للحوار خصائص عديدة، قصدها القرآن الكريم في حوارات إبراهيم عليه السلام نذكر منها على وجه الخصوص(٤):

١- اعتماده على العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾(٥).

---

(١) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، دار الوطن، ط١، ١٤١٣هـ: ص٦٦.

(٢) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

(٤) الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، المغماس، خالد محمد المغماس، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني: ص٢٩-٣٨ بتصرف، موقع www.aldaawha.com . المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٥م: ص٢٦٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٦٦.

٢- إقامة الحُجة على الخصم، ولا يُترك للمحاور الآخر حجة يتمسك بها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾(١).

٣- تنوع بواعثه ودوافعه سواء كانت نفسية عن قناعة بالفكرة التي يحاور من أجلها أو بواعث علمية للاستفادة من خلال المحاور بواعث اجتماعية مثل التعصب لفئة أو لرأي معين.

٤- استخدام أقرب الطرق وأسهلها للإقناع.

(١) سورة ا لبقرة، الآية ٢٥٨.

المبحث الرابع:

الجوانب التربوية الدعوية
في حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

المطلب الأول:

حواره مع نفسه

أعطى الله إبراهيم عليه السلام رشده، ومنحه من الصفات ما جعله أمة، ففكر في نفسه وحاله، ومن حوله، فرأى قومه يعبدون الأصنام، وهي حجارة لا تضر ولا تنفع. وقلّب بصره في الكون من حوله، فرأى آيات باهرة، وشَدّتهُ السماءُ بأفلاكها وكواكبها.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ ﴾[1].

وللمفسرين في هذا المشهد من كلام الله ﷻ في حوار إبراهيم عليه السلام مع نفسه عدة جوانب تربوية، فعند الإمام الطبري يرى أنّ في الآيات ما يدل على الثبات على المبدأ، وعدم الوحشة من قول الحق، فتراه يقول في حق إبراهيم عليه السلام: "لم

(١) سورة الأنعام، الآيات ٧٥-٨٣.

يستوحش من قِيل الحقِّ والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله، وإنكارهم إياه عليه"[١].

وأما البغوي في تفسيره يشير إلى أهمية الدعاء، فيقول: "والأنبياء لم يزالوا يسألون الله ﷻ الثبات على الإيمان"[٢]، فالدعاء وسؤال الله الثبات سمة أساسية وأدب جمّ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل يشترك فيها معهم المؤمنون. واستنتج الرازي في الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام أراد أن يُبطل قولهم بربوبية الكواكب إلا أنه عرف من تقليدهم لأسلافهم وبُعْدِ طباعهم عن قبول الدلائل أنه لو صرح بالدعوة إلى الله ﷻ لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحُجَّة، وذلك بأن ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع أن قلبه كان مطمئناً بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله[٣].

وكذلك رأى ابن كثير عدة جوانب ذات صلة بالتربية، انتفاء الإلهية عن الأجرام الثلاثة تحقق بالدليل القاطع؛ فالأفول[٤] دليل قاطع على الحدوث، وهو يوصل إلى العلم اليقيني. وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية الدليل القاطع في موضوع العلم. واستدل بما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كل مولود يولد على الفطرة)[٥] على أنّ إبراهيم

---

(١) جامع البيان، الطبري: ٢٤٧/٥.

(٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م: ٢٢٧/٢.

(٣) مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، فخر الدين محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ: ٥٣/١٣.

(٤) الأفول: الغياب، يُقال: أَفَلَ أي غاب، وأَفَلَت الشمسُ :غَرَبت، وكذلك القمر وسائر الكواكب. انظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة: (أفل) ١٦٧/١.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، رقم (١٣٨٥).

عليه السلام كان مناظراً لقومه لا ناظراً، قال: فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١]، ناظراً في هذا المقام بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب[٢]. وهناك الكثير من الإشارات التربوية التي تمثلت في آيات القرآن الكريم لخصها البقاعي، نذكر منها:

- أنه استدل بالأفول؛ لأن دلالته لزوال سلطانه وحقارة شأنه أتم، ولم يستدل بالطلوع لأنه –وإن كان حركةً دالةً على الحدوث والنقصان– شرف في الجملة وسلطان، وهذا الاستدلال برهان في أنّ أصل الدين مبني على الحُجة دون التقليد[٣].
- أخذ من قول إبراهيم عليه السلام: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾، أهمية الملاطفة وإبعاد الخصم عمّا يوجب عناده[٤].
- عندما أبطل مذهبهم أظهر التوجه إلى الإله الحق، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾، فقد انكشف له الصواب بهذا النظر، والمراد هم، ولكن سوقه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه[٥].

(١) سورة النحل، الآية ١٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢/١٥١-١٥٢) .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ابراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي: ٢/٦٥٩.

(٤) المصدر السابق: ٢/٦٦٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢/٦٦٠.

- وفي معنى ﴿حَنِيفًا﴾، قال: أي سهلاً هيناً ليناً لطيفاً ميالاً مع الدليل غيرَ كزٍّ[١] جافٍ جامدٍ على التقليد دأب الغليظ البليد[٢].
- قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾، أي أرشدني بالدليل القطعي إلى معرفة كل ما يثبت له وينفى عنه، لأنه قادر، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، ويخافه من عواقب العصيان؛ لأنَّ من رُجي خيره خيف ضيره، وذلك دالّ على أن الله ﷻ أهلٌ لأن يخاف منه. كل ذلك تلويحاً لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلاّ من يأمن ضره، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر[٣].
- قوله لهم: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فيه إشارة إلى أنّ في جبلاتهم أصل التذكر الصاد عن الشرك[٤]. لما كان المحذور المنفي هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم، وكان حصول الضرر لمخالفها بواسطة أتباعها أو غيرهم من سنن الله الجارية في عباده، اقتصر عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة والرحمة والكفاية والحماية[٥].

(١) الكَزُّ: هو الذي لا ينبسط ووجْه، وجَمَلٌ كَزٌّ صُلب شديد. لسان العرب، ابن منظور مادة: كزز ٨٥/١٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي: ٦٦١/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٦٦١/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٦٦٢/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٦٦٢/٢.

واستنبط أبو السعود الكثير من الجوانب التربوية أيضا، عبّر عن قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ بطريقة التهكّم، مع الإيذان بأن الأمورَ الدينية لا يُعوَّل فيها إلا على الحُجة المنزلةِ من عند الله ﷻ[١]. وفي تعليق الخوفِ الثاني بإشراكهم من المبالغةِ ومراعاةِ حسنِ الأدب ما لا يخفى. وجيءَ بصيغة التفضيلِ ﴿أَحَقُّ﴾ المُشعِرَةِ باستحقاقهم له في الجملة لْاستنزالهم عن رُتبة المكابرةِ والاعتسافِ بسَوْق الكلام على سَنن الإنصاف، والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الأمن، والفريق الآمن في محلِّ الخوف، فإيثارُ ما عليه النظمُ الكريم على أن يُقال: فأيُّنا أحقُّ بالأمن أنا أم أنتم؟ لتأكيد الإلجاءِ إلى الجواب الحقِّ بالتنبيه على علّة الحُكم، والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجردِ الاحترازِ عن تزكية النفس[٢]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الجملةُ تعليلٌ لما قبلها، وفي وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضِعَ نونِ العظمةِ بطريق الالتفاتِ في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام إظهارٌ لمزيد لُطفٍ وعنايةٍ به[٣].

ويرى الآلوسي أنّ إبراهيم عليه السلام لو صدع بالحق من أول الأمر لَتمادوا في المكابرة والعناد ولَلَجّوا في طغيانهم يعمهون، فكان تقديم بطلان إلهية الأصنام على ما ذكر من باب الترقي. وفي قوله: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ مبالغة منه عليه السلام وتعريض بضلالهم، في قوله أولا: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾، وإنما ترقى عليه السلام إلى ذلك؛ لأن الخصوم قد أقامت عليهم بالاستدلال الأول حجة فأنِسُوا بالقدح في معتقدهم، ولو قيل هذا في الأول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون إلى الاستدلال، فما عرّض لهم عليه السلام بأنهم على ضلالة إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعهم له إلى آخره.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير أبي السعود»، محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٤٠٨/٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٠٨/٢.

(٣) المصدر السابق: ٤١٠/٢.

والدليل على ذلك أنه عليه السلام ترقى في النوبة الثالثة إلى التصريح بالبراءة منهم، والتصريح بأنهم على شرك حين تمّ قيام الحجة عليهم وتبلَّج الحق وبلغ من الظهور غايته(١).

أما استدلال إبراهيم عليه السلام بالأفول: ففيه "رعاية الإيجاز والاختصار ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، مبالغة في التقرير والبيان على ما هو اللائق بذلك المقام، ولم يحتج عليهم بالجسمية والتحيز ونحوهما مما يدركه الرائي عند الرؤية في أمارات الحدوث والإمكان اختياراً لما هو أوضح من ذلك في الدلالة وأتم"(٢).

ويرى صاحب الظلال في فطرة إبراهيم عليه السلام النموذج الكامل للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالإله في فطرته لا يمكن أن يكون صنماً من حجر، أو وثناً من خشب، وإذا لم تكن هذه الأصنام هي التي تخلق وترزق وتسمع وتستجيب –وهذا ظاهر من حالها للعيان– فما هي بالتي تستحق أن تعبد، وما هي بالتي تتخذ آلهة حتى على سبيل أن تتخذ واسطة بين الإله الحق والعباد، وإذن فهو الضلال البين تحسه فطرة إبراهيم عليه السلام للوهلة الأولى(٣). ويرجح سيد قطب هذا الكلام يُرجح أن تكون الحادثة قد وقعت في حال الطفولة، قبل أن تنزل عليه الرسالة.

نستنتج أن الجوانب التربوية التي تتضح من خلال نظرة المفسرين السابقة في حوارات إبراهيم عليه السلام كانت بعيدا كل البعد عن السخرية والاستهزاء في هذا الموقف، فقد كان هادئاً، ولم يتعرض لأية شخصية بالذم أو القدح، والاستعانة بالله في الوصول للحق في حال عجز النفس.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود شكري الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ٧/١٩٩–٢٠٠ .

(٢) المصدر السابق: ٧/٢٠٣.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١٤٢٣هـ: ٣/٢٩٠–٢٩١.

ومن خلال الدليل القاطع والحجة دون التقليد ومن خلال نغمة الصوت، وطريقة السؤال التي تغني عن التصريح، والاستدراج إلى استماع الحجة مع ملاطفة الخصم، ودون التعصب المبعد عن الحقيقة، واختيار الوقت المناسب والأخذ بالتدرج والترقي من الأدنى إلى الأعلى وكثرة الاستدلال على أساس المشاهدة بالعيان، والمولود يولد على الفطرة.

فكان هذا الحوار الصادق مع النفس، والتفكير بصوت مرتفع بحثاً عن الحق والحقيقة والاستدلال بالأدلة الموصلة إليها ، والمعينة عليها.

المطلب الثاني:

حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه

حاور إبراهيم عليه السلام كما يظهر من خلال الآيات التي سيوردها الباحث بألفاظ تنم عن طيب نفس المحاور ورغبته في استمالة قلوب المحاورين وبأسلوب لبق يظهر فيها جانب تربوي.

قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

للمفسرين فيها جوانب تربوية عدة، منها ما عند الزمخشري أنّ في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ بأسلوب لبق وبألفاظ ظاهرها اللطف، ولكن تنم عن جانب تربوي في مواجهة الطرف المقابل، ليحقر بها آلهتهم ويصغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها[2].

(١) سورة الأنبياء الآيات٥٢-٥٦.

(٢) الكشاف، محمود الزمخشري، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م: ١١٩/٣.

وعند الإمام الرازي أنّ إجابة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ وبأسلوب دعوى لين تبيّن أن الباطل لا يصير حقاً بسبب كثرة المتمسكين به، حيث أن قوم إبراهيم عليه السلام رأوه ثابتاً على الإنكار، قوى القلب فيه، وأنه أظهر لهم أنه مُجِدّ في إظهار الحق الذي هو التوحيد وذلك بالقول أولاً[١].

وما ذكره القشيري من دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه إلى النظر في خلق السموات والأرض والاستدلال بالخلق على الخالق، بأسلوب لطيف ثم بيّن أنه عليه السلام لما طالبوه بالبرهان إلى ما دعاهم إليه وأحالَهم إلى النظر والاستدلال قال: ﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٢].

وعند صاحب الظلال الكلام على قولهم: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فقال: "وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية. فالإيمان بالله طلاقةٌ وتحرُّرٌ من القداسات الوهمية التقليدية، والوراثات المتحجرة التي لا تقوم على دليل... ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وما كانت عبادة الآباء لتكسب هذه التماثيل قيمة ليست لها، ولا لتخلع عليها قداسة لا تستحقها. فالقيم لا تنبع من تقليد الآباء وتقديسهم، إنما تنبع من التقويم المتحرر الطليق".

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٨٢/٢٢.

(٢) لطائف الإشارات «تفسير القشيري»، عبدالكريم القشيري، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ: ٢٩٦/٢.

وذكر أيضا كيف واجههم إبراهيم عليه السلام بطلاقة وصراحة، حتى راحوا يسألون: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ وهو سؤال المزعزع العقيدة، معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد، فهو لا يدري أي الأقوال حق، والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل(١).

وآيات أخرى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨﴾(٢).

وللمفسرين منها جوانب تربوية عدة، منها ما نظر إليه الزمخشري عن قوم إبراهيم عليه السلام وأنهم لما أجابوه جواب المقلدين لا يكون برهاناً على الصحة، وأن الباطل لا ينقلب حقاً بالقدم.

ثم ذكر لهم في قوله تعالى حكاية على لسان إبراهيم ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ تصويراً للمسألة في نفسه، على معنى: أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدوّ، فاجتنبتها وآثرتُ عبادةَ مَنِ الخيرُ كله منه، فأراهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أوّلاً وبنى عليها تدبير أمره، لينظروا فيقولوا: ما نَصَحَنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه؛ ليكون

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥/٥٤٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات، ٦٩-٨٩.

أدعى لهم إلى القبول، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: فإنهم عدوّ لكم، لم يكن بتلك المثابة، ودخل في باب من التعريض، وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح؛ لأنه يتأمّل فيه، فربما قاده التأمّل إلى التقبل والاستغفار حيث أن في استغفار الأنبياء عليهم السلام تواضعاً منهم لربهم، وهضماً لأنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَطْمَعُ﴾، وبأسلوب الدعوة واللين لم يجزم القول بالمغفرة. ثم ذكر أنّ إبراهيم عليه السلام لما أراد الثناء على ربّه أضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضَني» لعدَّ قومُه ذلك عيباً في إشارة منه إلى حسن الأدب الذي اظهره إبراهيم عليه السلام مع خالقه، فالمرض قد ينسب في الحقيقة إلى الله تعالى؛ فهو الذي يقدّر الأسباب والمسببات(١).

وكذلك عند الرازي نجده يشير إلى الجوانب التربوية في جواب القوم: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ "وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد ووجوب التمسك بالاستدلال، إذ لو قلبنا الأمر، فمدحنا التقليد وذممنا الاستدلال لكان ذلك مدحاً لطريقة الكفار التي ذمها الله ﷻ وذماً لطريقة إبراهيم عليه السلام التي مدحها الله ﷻ"(٢).

من الملاحظ أنّ الجوانب التربوية التي استخدمها إبراهيم عليه السلام أنها تُقدم العقل على العمل من خلال الآيات ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ قيل: المراد بالحكم كمال القوة العلمية بأن يكون عالماً بالخير لأجل العمل به. والمراد بقوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾، طلب كمال القوة العملية. وقدَّم الدعاء الأول على الثاني؛ لأنّ القوة العلمية مقدمة على القوة العملية؛ لأنه يمكن أن يعلم الحق وإن لم يعمل به وعكسه غير ممكن؛ ولأن العلم صفة الروح والعمل صفة البدن، فكما أنّ الروح أشرف من البدن كذلك العلم أشرف من العمل(٣).

---

(١) الكشاف، الزمخشري: ٣/٣٠٩-٣١٠.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٤/١٤٣.

(٣) روح المعاني، الآلوسي: ١٩/٩٨.

ثم في دعائه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، قال: "لا بأس بأن يريد تخليد ذكره بالجميل ومدحه بما كان عليه في زمانه؛ ولكون الثناء الحسن مما يدل على محبة الله ﷻ ورضائه"(١). ثم ذكر أنّ الإمام مالكاً استدل بهذه الآية على أنه لا بأس أن يحب الرجل أن يُثنَى عليه صالحاً(٢). فكان التأدب واللطف في الطلب.

وكذلك صاحب الظلال نجده يقف عند الجوانب التربوية أخرى، وهي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال: "فقد يكون من آبائهم الأقدمين من عبد الله، قبل أن تفسد عقيدة القوم وتنحرف، وقد يكون من عبد الله ولكن أشرك معه آلهة أخرى مدعاة، فهو الاحتياط إذن في القول، والدقة الواعية في التعبير، الجديران بإبراهيم عليه السلام في مجال التحدث عن العقيدة وموضوعها الدقيق"(٣).

تعتبر القدوة من الناحية التربوية خير معلم للنشئ الذي يكون في مستهل مرحلة نضجه النفساني والعقلاني، فهو قابل للتأثر بالقدوة، لدرجة كبيرة والقدوة كما تكون في الأشخاص، تكون في أفعالهم، بل إن أفعال النموذج القدوة هي خير للمقلِّد من أقواله؛ فينبغي أن يبدأ بتهذيب أخلاقه ليكون أهلا لتهذيب الآخرين، والله ﷻ قد جعل إبراهيم قدوة، فأمر المؤمنين بالاقتداء به وبأفعاله، ووجود أشخاص في عالم البشر كإبراهيم خير معلم لهم، وفيه أكبر العون على أن يسلكوا طريقه (٤).

فمن خلال الآيات يتبين بعض الجوانب التربوية والتي تظهر أن الباطل لا ينقلب حقاً بالقدم مهما زين الباطل، وجمل بأبهى الأساليب. ومن حسن الأدب مع الله أن يضاف الخير والتواضع والتذلل له وحده، وما أظهره قوم إبراهيم من رد أنهم مقلدين

(١) روح المعاني، الآلوسي: ٩٨/١٩.

(٢) المصدر نفسه: ٩٩/١٩.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢١٨/٦.

(٤) التربية الإسلامية للطفل والمراهق، محمد جمال الدين محفوظ، د.ط، دار الاعتصام: ص٢٠١.

كان رداً واهياً، وكذلك أظهر إبراهيم في حواره تقديم العقل والعلم على القوة والعمل من الجوانب التربوية الدقة الظاهرة في التعبير؛ لأنّ الكلام إذا كان نابعاً من القلب تظهر على المحاور علامات الإبداع وتلقى من المقابل القبول والإيجاب، ومن الجوانب التربوية الدعاء للمحاور حتى ترطب القلب وتستقبل أفضل الإيجابيات.

وآيات أخرى تبين الجوانب التربوية أخرى، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

وما نظر إليه صاحب الظلال من جوانب تربوية في هذه الآيات: "دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض؛ وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتأملاه أصحاب الدعوات"، فالبساطة والوضوح التي كان يتمتع بها إبراهيم عليه السلام حين بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها، ثم أردف بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تتضمنه من الخير لهم، وبيّن لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه، ثم قام بتوجيههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم، فالرزق مشغلة النفوس، وفي يوجههم إلى واهب الأرزاق المتفضل بالنعم، ليعبدوه ويشكروه، وثم في النهاية يكشف لهم أنه لا مفر من الله، فمن الخير أن يثوبوا إليه مؤمنين عابدين شاكرين، تدرج معهم ليحقق هدفه المنشود، ويدخل إلى قلوبهم من مداخلها، ويوقع على أوتارها في دقة عميقة[2].

(١) سورة العنكبوت، الآيات ١٦-١٧.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٣٩٨/٣-٣٩٩.

ومن الجوانب التربوية عند القشيري في قوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ أن الرزق مقدم على الأمر بالعبادة؛ لأنه لا يُمْكِنه القيام بالعبادة إلا بعد كفاية الأمر؛ فبالقوة يمكنه أداء العبادة، وبالرزق يجد القوة[١]، دلالة مخاطبة القوم بتأمينهم من ناحية الطعام والرزق، ثم طلب العبادة، لأن في المنظور البشري الإطعام أول الأمور.

وفي سورة الصافات مشهد آخر من مشاهد دعوة إبراهيم عليه السلام قومه، قال الله ﷻ: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾[٢].

للمفسرين في هذه الآيات جوانب تربوية عدة، مما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ما يدل على ثبات إبراهيم عليه السلام وصبره في تبليغ دين الله إلى قومه، وإن كان القوم معاندين[٣]. خاطبهم بسؤال الاستفهام وليس التقريع فكان الاستطراد في الكلام بعد ذلك والتوضيح. وما أورده القشيري من قول إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال "إشارة منه إلى الحث على الحياء بين يدي الله تعالى وحسن الأدب معه"[٤]. وعند البقاعي في سؤال إبراهيم عليه السلام قومه: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ جانب تربوي من غير إساءة تظهر تحقيراً لأمرهم وأمر معبوداتهم. ثم ذكر شجاعة إبراهيم وثباته على الحق وبيّن أنه كان غير آبه لكثرتهم، ولا هائب لقوتهم، ولا مراع لميل الطبع البشري إلى مودتهم[٥].

---

(١) لطائف الإشارات، القشيري، ٤٥٤/٢.

(٢) سورة الصافات، الآيات، ٨٣-٨٧.

(٣) الكشاف: الزمخشري ٤٦/٤.

(٤) لطائف الإشارات: القشيري: ٩١/٣.

(٥) نظم الدرر: البقاعي: ٣٢٢/٢٦.

وعند صاحب الظلال أن المجيء بالقلب السليم هو صورة عن الاستسلام الخالص، والتعبير بالسلامة تعبير موح مصور لمدلوله مع أنه يتضمن صفات كثيرة من البراءة والنقاوة، والإخلاص والاستقامة، إلا أنه يبدو بسيطاً غير معقد، ويؤدي معناه بأوسع مما تؤديه هذه الصفات كلها مجتمعة، وبهذا القلب السليم، استنكر ما عليه قومه واستبشعه(١).

فمن خلال ذلك يتبين جوانب تربوية في حوار إبراهيم عليه السلام تنم عن إيمانه الراسخ وشجاعته الظاهرة وأسلوبه اللين وإن كان ضمن دائرة التحقير والتوبيخ، اعتمد إبراهيم عليه السلام حسن الخلق وسلامة القلب.

وفي موقف أخر مع قوم إبراهيم عليه السلام لما رأى إبراهيم من إعراض قومه عن منهج الله وتكذيبهم له تبرأ منهم، بأسلوب لبق غير فج ولا إساءة ولا تجريح وان كان فيه ضمنا، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾(٢)، وقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ...﴾(٣).

نظر المفسرون في هذه الآيات لعدة جوانب تربوية: أن المقصود من الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد، وتقريره من أن الله تعالى بين أن إبراهيم عليه السلام تبرأ عن دين آبائه بناءً على الدليل. وبيان أن ترك التقليد والرجوع إلى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين، فإبراهيم عليه السلام لما عدل عن طريقة أبيه إلى متابعة الدليل لا جرم جعل الله دينه ومذهبه باقياً في عقبه إلى يوم القيامة، وأما أديان آبائه فقد اندست وبطلت. "والقول الصريح في التبرّؤ من عبادة الأصنام، وتبرأ إبراهيم مما يَعبُد

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥٩/٦.

(٢) سورة الزخرف، الآيات ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

أبُوه أدَلُّ على تجنب عبادة الأصنام بحيث لا يُتسامح فيها ولو كان الذي يعبدها أقربَ النّاس إلى موحّد الله بالعبادة مثل الأب"(١).

أما قول الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ...﴾(٢)، فقد نظر فيها المفسرين جوانب تربوية عدة، حيث جاءت لتأكيد أمر الإنكار والتخطئة في موالاة الكفار بقصة إبراهيم عليه السلام ومن معه؛ ليُعلم أن الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه من أوثق عُرى الإيمان، فلا ينبغي أن يغفل عنهما، وأن الأسوة تعد خصلة مهمة في أسلوب الدعوة، ولها تأثير في نفس المقتدي وعدم التصنع في الأداء لتظهر المودة في الخطاب، وعدم إظهار البغض من خلال مكاشفة النفور وعدم القبول لموقفهم الكفري(٣).

فالقدوة الحسنة جانب تربوي مهم في الدعوة ومحاور الطرف الأخر، وإظهار الود والمحبة وكتم البغض والكراهية أمورا مهمة لكسب الموقف.

المطلب الثالث:

حوار إبراهيم عليه السلام مع ابنه حاور إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾(٤).

يتعرض إبراهيم عليه السلام لامتحان عظيم لم يسبق إليه، ولا يقدر أحد عليه، حين رأى في المنام ورؤيا الأنبياء حق، وأحلامهم صدق، أنه يؤمر بذبح ولده، فلذة

(١) مفاتيح الغيب: الرازي: ٢٠٨/٢٧. نظم الدرر: البقاعي: ٢١/٦. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م: ١٩٢/٢٥.

(٢) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٣) تفسير لآلوسي، روح المعاني: ٦٩/٢٨.

(٤) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

كبده. محنةُ عظيمة تنوء بها الجبال والرجال، لكن كمال الإيمان وثبات اليقين عند إبراهيم جعله يكون قدوة لغيره إلى يوم الدين في الصبر والثبات.

ولعلماء التفسير جوانب تربوية من هذا الحوار فعند صاحب الظلال في قوله يا بني فهي لفظ المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه، وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن، الذي لا يهوله الأمر فيؤديه، في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه. فما كان من الولد إلا الاستجابة بأدب، يا أبت هنا تتجلى روعة الإيمان والتسليم وعدم المجادلة في مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده. بل لا يفقده أدبه ومودته ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال ثم يأتي قوله ستجدني إن شاء الله من الصابرين ولم يأخذها بقوته، ولم يأخذها شجاعة، ولم يأخذها اندفاعا إلى الخطر دون مبالاة، ولم يظهر لشخصه ظلا ولا حجما ولا وزنا، إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه على ما يطلب إليه، وأصبره على ما يراد به(١).

وعند ابن عاشور جوانب تربوية في هذا الموقف تدل على الاحترام ومواجهة ما يخفف عن الأب في قوله: "ستجدني" امتثال لأبيه وأن لا يجزع ولا يهلع بل يكون صابرا، وفي ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من الحزن لكونه يعامل ولده بما يكره(٢).

فكان الأدب في الخطاب يتجلى كماله في البر للأب، وكمال الإيمان بالرب، والاستسلام لأمره، فيعلن إسماعيل عن رضاه وصبره. وعلى ذلك كانت الجوانب التربوية في هذا الحوار أهمية حسن الخطاب ورقة الكلام بين الآباء والأبناء والأثرة العظيم في امتثال أشق الأمور.

---

(١) في ظلال القران: سيد قطب: ٢٩٩٤/٥.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٤٩/٢٤.

المطلب الرابع:

حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه

الله تعالى خلق الناس درجات ومتفاوتين ومختلفين في أشكالهم وألوانهم وألسنتهم ولغاتهم، وفي عقولهم وقلوبهم، ونتيجة للاختلاف في العقول والقلوب لابد أن يكون الأسلوب في مخاطبتهم أسلوباً مختلفاً بعضهم عن بعض لما في ذلك من مصلحة للدعوة إلى دين الله، وكان الأنبياء والمرسلون هم الذين بلغوا رسالات ربهم للناس، أمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، على منهج الله ووفق أوامره ونواهيه، بالقول الحسن واللطف واللين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾(١)، ومن هنا كان لا بدَّ لكل داعية من معرفة أساليب الدعوة؛ حتى ينجح في استقطاب الناس لدعوته.

ومن خلال حوارات إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم كان حواره مع أبيه من اجل أن يؤمن جوانب تربوية راقية، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾(٢)، من هذه الآيات كان للمفسرين نظرات تربوية مهمة.

وعند صاحب الكشاف كان من نعائم الله على أوليائه أن يمدحهم ويصفهم بالصفات التي تقدمهم عند من يدعونهم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، وتعني: أنه "كان جامعاً لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات". وفي الكشاف أيضا كيف أن إبراهيم عليه السلام خوّف أباه من عقابة ما هو فيه بحسن

(١) سورة فصلت، آية ٣٣.

(٢) سورة مريم، الآيات ٤١-٤٨.

أدب؛ فلم يصرح بأن العقاب لاحقٌ به وأن العذاب لاصقٌ به، ولكنه قال: ﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾، فذكر الخوف والمَسّ ونكَّر العذاب. فكان الجانب التربوي المهم في طريقة حوار الابن مع أبيه، وكيف صدّر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: ﴿يَا أَبَتِ﴾، توسلاً إليه واستعطافاً، ثم كيف قابل الأب ابنه بفظاظة الكفر وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بـ(يا بنيّ). ومن الجوانب المهمة في حوار إبراهيم مع أبيه عندما هدد الأب ابنه بالرجم قال الابن: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾، وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال هذه. ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له. ثم ما كان من إبراهيم من لطف وتواضع عندما عرّض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾، مع التواضع لله بكلمة «عَسَى»، وما فيه من هضم النفس(١).

فاتخذ الأسباب التي شرعها الله لعباده المؤمنين، وكان من أهم الأساليب في دعوته أباه الدعاء له بالمغفرة. وزاد الأمر تفصيلا صاحب الظلال بقوله: "إن العقيدة هي العروة الكبرى التي تلتقي فيها سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية، فإذا انبتَّت وشيجة العقيدة انبتَّت الأواصر الأخرى من جذورها"(٢).

وتقوية الصلة تنم عن تفاعل تربوي على أحسن وجه، وإيجاد التعاون معهم من خلال التواصل عبر كلمات مثل الدعاء هو أحد الوسائل العلاجية غير المباشرة في التربية حيث أنها تؤدي إلى زيادة روابط الثقة والمحبة، والإحساس بالطمأنينة والارتياح النفسي؛ ومن ثمّ زيادة الاستعداد النفساني لتصحيح الخطأ. وكان ذلك دليلا على احترام إبراهيم لأبيه مما قد يؤدي إلى إسلامه.

(١) الزمخشري، الكشاف، الزمخشري: ٣/١٧-٢١.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤/٣٢٢.

وعند القشيري في كتابه لطائف الإشارات: "لم يغادِر الخليل شيئاً من الشفقة على أبيه، ولم ينفعه جميل وعظه، ولم تنخع فيه كثْرَةُ نُصْحه،. .. منَّاه إبراهيمُ بجميل العُقْبَى، فقابلَه بتوعُّدِ العقوبة. .. فأجابه الخليل بمقتضى سكون البصيرة، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾، وهذا قبل أن ييأسَ من إيمانه، إذا كانت لديه بعد بقية من الرجاء في شأنه"(١).

دعاؤه عليه السلام في هذه الدنيا وأبوه على شركه، فلعل الدعاء يكون سببا لسكون قلب أبيه فيهديه الله ويُسْلِم. وهذا أسلوب راق في التربية، فالقلوب متفاوتة، ولعل من لا يصلحه الترغيب والترهيب يصلحه الدعاء.

وإذا كان الوعد من إبراهيم عليه السلام ففيه جوانب تربوية، فاستعمال أسلوب الدعاء لتسكين القلوب وتأليفها، أمور ينبغي مراعاتها والوقوف عندها.

عند الزمخشري: "كأنه قال: أنا أستغفر لك وما في طاقتي إلا الاستغفار"(٢). فهو قد بذل قصارى جهده بالبر بوالده، وما قصّر وما توانى عليه السلام.

الأسلوب الحواري الجميل الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام مع أبية كان تأدبا ورأفة، وعدم يأس في استمالة قلب أبيه لإنقاذه من النار.

وعند الإمام الآلوسي ظهرت عدة جوانب تربوية من الآيات، حيث أن إبراهيم عليه السلام لم يَسِمْ أباه بالجهل المفرِط ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك، بل استماله برفق حيث قال: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾. وفي قوله: ﴿عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ دلالة على أنه ليس على وجه الانتقام، وأن صفة الرحمانية لا تنافي العذاب وفي قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ﴾ مقابلة للسيئة بالحسنة؛ فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان(٣).

---

(١) لطائف الإشارات، القشيري: ٢/٢٤٣.

(٢) الكشاف، الزمخشري: ٤/٥٠٢.

(٣) روح المعاني، الآلوسي: ١٦/٩٧-٩٩.

أما الإمام الرازي كان قد تنبه للأسلوب الحواري الدعوي لإبراهيم عليه السلام مع أبيه، ونبه إلى ما فيه من جوانب تربوية تظهر في كيفية ترتيبه كلامه، فدلل إبراهيم عليه السلام في دعوته لعدم عبادة الأوثان بالنظر والاستدلال، ثم على أن طاعة الشيطان غير جائزة بالعقل وختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغي، وكان هذا الكلام باللطف واللين وعدم الإساءة للأب، بقوله في مقدمة كلامه ﴿ يَـٰٓأَبَتِ﴾ لما فيها من حب وتلطف، وخَتْم الكلام بما يدل على الشفقة عليه وقلقه على مصلحته بقوله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ وكان ذلك من خلال حق الأبوة استدلالا بقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١]، بالإضافة إلى أعظم أنواع الرعاية الأدب والرفق حيث أن الداعية لا بدَّ أن يكون رفيقاً لطيفاً، لا يستعمل العنف في أسلوبه؛ وإلا كان سببا في إعراض المستمع...[٢].

استعمال الأساليب الحوارية من لطف في الدعوة و الوعظ و الهدوء في الكلام والاتصاف بمكارم الأخلاق والبر والشفقة واللين، وضبط النفس، وإظهار المحبة والحرص على الهداية، ومقابلة السيئة بالحسنة تؤدي إلى الاستمالة والاستعطاف تنم عن جانب تربوي عظيم يقتدى به، وذلك من خلال الاعتزاز بالانتماء لله تعالى.

(١) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٢٧/٢١–٢٢٨.

المطلب الخامس:

حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك

دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه إلى الإسلام، وعلى الرغم من إعراضهم عما دعاهم إليه إلا أنه لم ييأس، فحاول توسيع دعوته لتشمل الملك نمرود(١).

وذكر الله تعالى حوار إبراهيم مع الملك، في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾(٢)، ورد عند ابن كثير أن الملك أنكر أن يكون هناك إلهٌ غيره، مما دفعه للطغيان والكفر والمعاندة الشديدة والتجبر، واستخفافه لقومه ما دفعه للطلب من إبراهيم عليه السلام دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه(٣).

عند ذلك كانت المحاورة وكان الأسلوب الحواري عند إبراهيم الداعية لله على بصيرة عندما وقف بين يدي الملك يدعوه إلى الله، ضاربا له مثلا محسوسا يدركه كل شخص محاولا فيه إقناعه، وذكر القرطبي أن في هذه الآيات ما يدل على إثبات الحوار وإقامة الحجة؛ لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل(٤).

وبيّن الإمام الشوكاني كيف كان أسلوب إبراهيم عليه السلام التربوي اللطيف في إقامة الحجة من خلال الحوار، فذكر أن النمرود لما ردّ على الحجة الأولى لإبراهيم

---

(١) ويقال: نمروذ بضم النون وبالذال المعجمة. انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٣/٣. واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وقيل: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكان أحد ملوك الدنيا. البداية والنهاية، ابن كثير: ١٧٢/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣١٣/١.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٨٦/٣.

عليه السلام وهي الإحياء والإماتة رداً فيه حماقة ومغالطة، كانت الحجة الثانية طلوع الشمس من المشرق لا مجال للمكابرة فيها، مطلقا، فقال: "فلو قال إبراهيم عليه السلام: ربه الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، فهل تقدر على ذلك؟ لبهت الذي كفر بادئ بدء وفي أوّل وهلة، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى تنفيساً لخناقه، وإرسالاً لعنان المناظرة، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ...﴾، لكون هذه الحجة لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر للكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة"(١).

الحوار الوارد في هذه الآيات هو من الحوار الجدلي، ويُعرّف بأنه حوار يجري فيه نقاش أو جدال غايته إثبات الحجة... يربي العقل على التفكير الواقعي، والحجج المحسوسة(٢)، وما دفع إبراهيم لهذا الحوار التحاججي إلا من اجل التدليل على عدم قدرة الملك على ما يطرح وكذلك إقناعه بحجة ملموسة انه اضعف من أن يحيي ويميت.

وعند صاحب الظلال أن إبراهيم عليه السلام في حواره مع الملك لا يريد أن يسترسل في معنى الإحياء والإماتة مع رجلٍ كان لا يرد أن تظهر الحقيقة، وعمد إبراهيم عليه السلام إلى المحاورة الجدلية إلى أمر مرئي محسوس وطلب تغيير سنة الله لمن يُنكر ويتعنت ويجادل في الله تعالى، ليريه أن الرب ليس حاكم قوم في ركن من الأرض، إنما هو مُصرّف هذا الكون كله، وهذا لا سبيل إلى سوء الفهم فيه، ولا الجدال ولا المِراء، وكان التسليم أولى والإيمان أجدر(٣).

---

(١) فتح القدير بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ: ٢٧٧/١.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر، ١٤٢٥هـ: ص٢٢٤-٢٢٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٤٣٦/١.

ISSN: 2071-6028

فكانت معرفة الطرف الأخر وبما يفكر أمرا مهم في طريقة الإقناع والتخلي عن كبريائه بأدب ولطف، وقد أتقن إبراهيم عليه السلام ذلك وبدأ الإقناع ودعوة الملك للإيمان، بأسلوب قل نظيره هذه الأيام في محاججة الحاكم، وحتى يخرج المحاور بنتيجة عليه أن يتبع الأسلوب الراقي الذي سلكه إبراهيم عليه السلام، ثم كانت النتيجة أن بهت الذي كفر، وتحقق نجاح محاورة إبراهيم عليه السلام للملك.

الخاتمة

المصدر الأول للدين الإسلامي بحر زاخر لا ينضب، من الإرشادات والتوجيهات، وكذلك فيه المجال الواسع للدراسات والأبحاث في مضامينه وكلماته، لا بل حتى حروفه لها دلالات ويستنبط منها الجوانب الكثيرة والمهمة للبشرية، ومن بينها الجانب التربوي الذي كان مدار بحثي، من خلال جانب واحد وهو حوارات إبراهيم – عليه السلام– لنشر دين الله تعالى، ورسخها لنا القرآن الكريم لتدرس ويستنبط منها العلماء والمفسرين، ما يهم الإنسان في حياته ودينه، وبدلا من الاستدلال بقول العلماء فيمكن الاستدلال بقول الله ﷻ على أصول ثابتة وعلوم صحيحة، وبدلا من ضرب الأمثلة على أمور تحدث من حياة البشر فيمكن ضرب أروع الأمثلة من خلال آيات الله تعالى، ففيها نماذج لكل ما هو مطلوب، فكانت النماذج الحية لتعامل إبراهيم عليه السلام مع من يدعونهم للخير والهداية والرشاد ونماذج للشر والفسوق والعصيان، فهو باب من أبواب الدعوة إلى الله ﷻ ودينه. بعد النظر في جوانب الحوار الأساسية لإبراهيم عليه السلام مع مناظريه في هذا البحث اليسير الذي أرجو أن يكون له أهميته الخاصة في هذا الزمان الذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة بوسائل الإعلام الحديثة، في والذي يهتم فيه الغرب للحوار اهتماماً كبيراً. وكذلك للأسلوب الطيب الذي يجب أن يجسده الداعية المحاور لجلب الناس البعيدين والمُبعدين عن دين الله ﷻ، وهكذا فالقرآن الكريم يهدي الناس فيما يهديهم إلى أن يحتكموا إلى الحق وإلى أن يسلكوا الطريق الصحيح إليه، وهو طريق المحاورة، حتى لا يضلوا فيسلكوا بادئ ذي بدء طريق القوة دون منطق.

القرآن جعل معظم القضايا الخلافية سبيلها للحل في الحوار، ولم يجعل من القوة سبيلاً قط إلى التعامل مع المخالفين، وإنما يجعلها عقوبة للمصرين على الباطل بعد ظهور الحق.

ISSN: 2071-6028

فمن هنا ندرك أهمية الحوار في حياة الناس والدعوة على وجه الخصوص، في الوصول إلى الحق، ووصول حقهم إليهم.

التوصيات:

١. ضرورة المزج بين الدليل العقلاني والدليل السمعي للإقناع، فالإقناع فن ينجح فيه من يتحلى بآدابه.
٢. ضرورة اغتنام الأوقات والأحداث المناسبة من أجل إتمام المهمات التربوية.
٣. للبيئة أثر كبير في العملية التربوية.
٤. الإيمان بالله واليقين بما عنده والدعاء من أهم أسباب نجاح العملية التربوية.
٥. تبين أهمية الحوار وضرورة تطبيقه، علمياً وعملياً.
٦. إيجاد دورات تدريبية تقدم لشرائح المجتمع وللدعاة خاصة تبين لهم الحوار وضوابطه وآدابه.
٧. فتح قنوات الحوار وفق الضوابط الشرعية مع الطرف الآخر.
٨. إبراز حوارات أخرى في القرآن الكريم بدراسات علمية.
٩. تصحيح مفهوم الحوار الذي يظهر عند كثير من الناس أنه مجرد الجدال المضيع للوقت والجهد.

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم «تفسير ابي السعود»، محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ.

٦. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٧. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود شكري الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩. معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الاسلامي.

١١. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٥م.

١٢. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح حميد، دار المنارة، ط١، ١٩٩٤م.

١٣.حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، عصام الدين إسماعيل الحنفيي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٤.الكبائر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

١٥.مفاتيح الغيب «التفسير الكبير»، فخر الدين محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

١٦.الكشاف، محمود الزمخشري،، مكتبة العبيكان، ط١، ١٩٩٨م.

١٧.الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى زمزمي، دار التربية والتراث، مكة، رسالة جامعية، ط١، ١٤١٤هـ.

١٨.التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، ١٩٩٨م.

١٩.فتح القدير بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٠.الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان، دار الوطن، ط٣، ١٤١١هـ.

٢١.جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير «تفسير الطبري»، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٩٩م.

٢٢.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ١٩٨٦م.

٢٣.الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١١٩٦٤م.

٢٤.لطائف الإشارات «تفسير القشيري»، عبد الكريم القشيري، دار الكتب العلمية، ط٨، ١٤٢٢هـ.

٢٥.في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١٤٢٣هـ.

٢٦.الآباء ومشاكل الأبناء في الميزان السيكولوجي بين الفهم والمواجهة، محمد علي كامل، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٧.أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، ماجد عرسان الكيلاني، دار التراث، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٨.التربية الإسلامية للطفل والمراهق، محمد جمال الدين محفوظ، د.ط، دار الاعتصام.

٢٩.مقدمة في التربية، إبراهيم ناصر، عمان، ١٩٧٨ م.

٣٠.أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، عبد الرحمن، دار الفكر، ط٥، ١٤٢٠هـ.

٣١.في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، السعودية، ط٥، ١٩٩٨م.

٣٢.أهداف التربية الإسلامية، مقداد يالجن، وغاياتها، ط١، ٢٠١٤م.

مواقع الانترنت

- الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغماس، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، موقع www.aldaawha.com